بعد التثبت من سلامته لان هذه القشرة المحكمة التي يظنونها درعا واقية له ليست الا ستاراً شفافا تدخله السموم من كل ناحية

فوضى المطبوعات

اشرنا مرة الى نقص الاداب في هذه الديار من جهة ارتكاب اكثر كتابها الخطأ في الانشاء الى حد رسم الكلمات ولكننا عددنا ذلك هيناً محمولا اذ لا يطول عهده بسبب ايثار الصحف للنقد في هذه الايام وخروج بعض المجلات شيئاً عما الفته من اطراء كل ما يعرض عليها او يهدى اليها دون نقد ولا بحث ونحن الان نعيد تنبيهنا الى شأن آخر لا يقل عن ذلك وهو الاشارة الى ان نمو الاداب عندنا انما هو في الحقيقة نمو صناعة الطباعة على الغالب دون ان يكون للادب الخالص اثر يذكر بالقياس الى مبلغ المطبوعات ومقدار انتشارها في البلاد وهو شأن اذا طال افسد الاذواق ومد الباطل في طغيانه

اما ما تشكو منه الاداب فهو تعرض كل ملم بها اليها حتى اوشك ان الكتاب ان يكون مؤلفاً ومعرباً بل هذا هو الذى حصل وقد عم الشعور به دون ان يعم التنبه اليه وذلك مراعاة للمبدأ القديم عند الصحافة وهو تقريظ كل ما يعرض عليها والثناء على قائله وناشره . وانه لا ينكر ان الثناء على المطبوعات كان عادة ظن انه لافراق لها ولا انفكاك عنها حتى

تنبهت الصحائف الى ذلك آخراً فتدرجت منه الى ذكر المطبوع ومؤلفه وبيان ثمنه والدلالة على مكانه دون مديح له حين لا يكون مستحقاً المديح وهو ما جرينا على شيء منه حتى بدا لنا ان نهمل باب « كتب الشهر وجرائده » اضطراراً لان اكثر ما كان يرد الينا من المطبوعات بعمومها انما كان يستحق اللوم بدل المديح ولكننا ما لمنا بل اغضينا عن ذكرها اصلا ومامولنا ان نرى من سائر الصحائف عوناً على ذلك حتى يبلغ بنا التدريج الى النقد الصحيح وذكر المعايب لان ذكر المعايب مقدم على ذكر المحامد من قبيل ان دفع الشر خير من جلب النفع

اما ما يبدو من الحال المنتشرة الان فهو اقدام كل طالب للادب على الدخول في لجته في حين هو على ساحله وجعل نفسه مطلوباً منه الادب في حين قد ابتدأ ان يطلبه وهذا ولا شك صادر عن الدعوى والغرور اللذين ما تعرض لردهما استاذ حين تعرضه لرد الجهالة عن صدر تلميذه بحيث صار علم الارشاد والتنبيه الى المنزلة الانشائية افيد من الادب نفسه وتلقين العلم ذاته

فلقد نرى تلميذ المدرسة وهو في السنة الاولى من عهده بها يرى الكاتب البارع قد صنف كتابا او عرب رواية وان الثناء عليه قد بدا من الجرائد والناس وان ذكره قد اشتهر وسار فيتوهم ان علة ذلك كله كانت التصنيف والتعريب مجردين فهو لا يكاد يعي شيئاً من اصول لغته اولغة غيره حتى يقدم على التصنيف والتعريب فيخرج كتابه وهو كأنه يسب به نفسه سباً دون ان يعلم او يعاده احد بل يكون الامر على العكس غالباً وبذلك يتمادى في مسبة نفسه واغراء غيره بفعله حتى ينشر الجهالة عن طريق العلم ويغرق

في بحرها العلم الصحيح القليل حتى لا يعود يبدو منه شيء او يتجدد خشية من ذلك الغرق

واننا لو شئنا ان نحصي مقدار ما يصدر كل سنة من المطبوعات التي تسمى كتباً وتغلف وترسل الى المكاتب وتباع في الاسواق لعددنا منها المآت ان لم تكن الالوف دون ان نعد منها شيئاً حسناً يذكر . فالتلميذ يعرب الرواية ويرسلها مصدرة برسمه او مهداة الى غيره وهو لا يدري مما يعرب شيئاً . وصاحب المطبعة يكلف هذا التلميذ وامثاله ان يزيدوا مما فعلوا فيعربوا له الروايات او يصنفوها وهكذا حتى نهاية تلك السلسلة وآخر تلك الطبقة فيبدو كل ما كتبوا وطبعوا سقيماً ركيكاً لا طلاوة فيه الا طلاوة سخف الجديد ان كان لجديد السخف طلاوة ولا فائدة الا فائدة المال ان صح ان يعدذا فائدة ما يباع بغرش وغرشين معروضاً ومبتذلا على القهوات والاسواق

ثم انه لو كان هؤلاء التلاميذ او الداخلون في غمار الادب ممن يقولون ما يفعلون قصد احتيال على الرزق من بيع ما يصنفون لكانوا على شيء من العذر ولكن اكثرهم يعرب ويصنف حتى لقد يصدر الصحائف ذات النفقات لا لشيء الا للتباهي والحيلة على الذكر بالتمجيد فيفسدون اذواقهم واذواق امثالهم ومن هم دونهم ثم تسوء العقبى على التمادي مع ان لهم مما يحاولونه مندوحة توجب فخرهم وتسجل فضلهم اذا شاؤا وهي طبع الكتب القديمة على نفقتهم ووضع رسومهم واسمائهم فيها فان منها شيئاً كثيراً لو تعمدوا البحث عنه لاستفادوا هم انفسهم من مطالعته ولاستفاد غيرهم من نشره وكان لهم الثناء الذي يحومون عليه مع شيء من الرزق اذا كانوا يحاولونه

وانه لا ينكر ان اقدامهم على التعريب والتصنيف في بدء عهدهم بالعلم انما هو تمرن عليه وتجربة جدية له ولكن هذا انما يحسن في المدرسة نفسها بين الاساتذة وبينهم دون ان يخرجوا شيئاً مما تمرنوا عليه من ابواب المدارس فان ذلك يعد تمرناً حقيقياً يفضي الى كمال علمهم وصوناً للاداب ان تبتذل الى هذا الحد. واننا نعلم ان مقالاً واحداً كهذا لا يؤدي الى كل ما تريده حقيقة الادب ولكننا نأمل من الصحائف عامة والمجلات خاصة ان تغادر ما بقي من عاداتها القديمة بالتدريج الذي بدا منها فتتعرض لهؤلاء المعربين والمصنفين باللوم حتى التقريع اذا وجب وبذلك يعرفون مقادير نفوسهم من الفهم ومبالغ ما كتبوا من الصحة . بل انه لو لم تكن الاداب عندنا فوضى لكان لهؤلاء المغرورين رادع ممن هم فوقهم من اولي الاداب الصحيحة فلا يقبلون ان يكون بينهم من ليس منهم كما يفعل الاطباء والمحامون وامثالهم فان الذي يرتكب منهم نقصاً في صناعته يعيبها يرفض منهم رفضاً حتى لا يقبل عليه احد ولكن هذا بعيد الان فليكن ما التمسناه

ثم اننا في هذا المقام ننبه جرائدنا الاخبارية اليومية بالخصوص الى شأن يمس آدابهم ويشوه محاسن صحائفهم حتى لا يفرقهم عن اولئك المفسدين الذين ذكرناهم وهو نشرهم للاعلانات والرسائل المأجورة بحروفها في حين تكون على غاية الركاكة بل تكون غير عربية الا بصورة الحروف فقط كما يبدو ذلك من اعلانات فقد الخواتيم (الاختام) فان اكثرها يرد هكذا (ختمي فقد مني ولم علي به ديون) ثم يتلو ذلك ما يشاء منتهى السخافة والركاكة الى حد العجمة وعدم فهم شيء مما هو مكتوب وهذا ولا شك

عيب يلحق بالصحيفة وحدها دون ناشر الاعلان لان هذا جاهل بسيط واما الصحيفة فتعد بذلك جاهلة مركبة

وقد كان من حقها ان تصلح الاعلان حتى يفهم المقصود منه على الاقل ان لم يرد بذلك تلاؤم المحاسن في الصحيفة كلها. ولقد يعتذر ارباب الصحف بان الناشرين لا يريدون ان ينشر لهم الا الذي كتبوه بايديهم واملته افهامهم ولكن هذا ليس بصحيح بل الصحيح هو كسلهم واعتذارهم بهذه الدعوى غير المقبولة

ثم انه من العجيب ان يعترف ارباب الصحف بانهم مسؤلون عن كل ما ينشر في صحفهم ولو كان بتوقيع سواهم لان الناشر شريك القائل ثم ينسون انفسهم في مثل تلك الحال فلا يعتبرون انفسهم شركاء في تلك الركاكة والسخافة مع ان الحالين واحدة ولا فرق بينهما الا ان تلك شرعية وهذه ادبية وتلك عقابها غرامة من مال وهذه عقابها غرامة من عار ولقد يكون المال اقضت عليهم وقعاً لو يتأملون